جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : الحضارة الرومانية – محاضرات-

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثالث

المحاضـرة الرابعـــــــــــة

روما القديمة: الأسطورة و الحقيقة.

تقع روما القديمة على تخوم سهل اللاتيوم الشمالية ، على الضفة اليسرى لنهر التبر الذي يعتبر حدا طبيعيا يفصل بين سهل اللاتيوم وأتروريا، تبعد عن البحر نحو 22 كلم. وتذكر الروايات القديمة أن المستوطنة الأصلية التي قامت عليها روما كانت على تل البلاتين (Palatin) وهو واحد من التلال المجاورة القريب من نهر التبر، يتراوح ارتفاعه بين 30 و50 متر، وتستطرد هذه الروايات لتتحدث عن توسع مستوطنة البلاتين لتضم المنطقة المعروفة بمنطقة الشعاب السبعة.

وإذا ما عدنا للحديث عن نشأة وتأسيس روما القديمة وتاريخها المبكر اعتمادا على المؤرخين وغيرهم من الكتابات الأدبية لوجدنا أن معظم من كتبوا عن تلك الفترة ممن بقيت كتاباتهم قائمة حتى الآن، كتبوا عنها بعد خمسمائة (500) عام على الأقل من وقوع الأحداث. وعلى مدى تلك الفترة الزمنية الطويلة بعد وقوع الأحداث وروايتها، لم يعد من السهل التمييز بين الحقيقة والأسطورة أو بين الواقع وما امتزج به من خيال في تلك الأحداث.

ولما كانت حضارة بلاد الإغريق المجاورة أقدم وأعرق من المدينة والدولة الرومانية الوليدة، فقد كانت هناك رغبة من جانب الرومان في ربط جذورهم الأولى بأحداث وقعت على الجانب الإغريقي، لذا ربط الرومان جذورهم الأولى بالحدث الأشهر في تاريخ اليونان في العصر الموكيني، وهو حرب اليونان ضد طروادة في شمال غرب آسيا الصغرى، وتدميرهم لها في أوائل القرن الثاني عشر (1184 ق.م)، وهو الحدث الذي تروي ملاحم هوميروس الشهيرة الإلياذة و الأوديسة بعضا من فقراته المؤثرة.

إلا أن رأيا آخر يذهب إلى أن روما قد استرعت اهتمام الإغريق خلال القرنين الخامس والرابع ق.م، وكان الإغريق معروفين بخيالهم الخصب ويسارعون إلى ابتكار مؤسس

أسطوري لكل مدينة تفتقر إلى أسانيد صحيحة عن نشأتها، لذلك لم يلبثوا أن أدلوا بدلوهم في هذا الأمر وربطوا نشأة روما بماضيهم الأسطوري، مما أفضى إلى أساطير مختلفة، كان مؤسس روما فيها جميعا إما أحد أبطال أساطيرهم، وإما سليل واحد من هؤلاء الأبطال.

ورغم اختلاف الرأيين إلا أنهما يتفقان في أن الرومان الأوائل ينتسبون إلى أمير طروادي يدعى إنياس (Enée) ابن الإلهة أفروديتي، وهو البطل الذي تُنْسَبُ إليه إلياذة الشاعر الروماني فرجيليوس (Virgile). وتروي الملحمة قصة طواف إنياس الطروادي – بعد فراره من المدينة المدمرة، ورحلاته في أرجاء البحر المتوسط برفقة أبيه أنخيسيس (Anchise) وولده أسكانيوس (Ascagne) حتى حط الرحال في نهاية المطاف في إقليم لاتيوم في وسط إيطاليا قرب مصب نهر التبر، وتزوج من لافينيا (Lavinia) ابنة لاتينوس (Latinus) ملك لاتيوم، وأقام لها مدينة تحمل اسمها هي لافيينوم (Lavinium). ولكن ابن إنياس المدعو اسكانيوس ترك لافينيوم إلى ألبا لونجا (المدينة الرئيسية في الحلف اللاتيني) إلى الداخل قليلا بعد لافينيوم حيث تعاقبت ذرية إنياس وولده أسكانيوس على حكم ألبا لونجا (Alba la Longe) وتواصلت هذه الذرية حسبما تروي الأسطورة الرومانية، وكان آخر هذه السلسلة من ملوك ألبا لونجا هو أموليوس (Amulius) الذي اغتصب العرش من أخيه الملك الشرعي نوميتور (Numitor)، ونفاه خارج ألبالونجا.

عند هذا الحد من الأسطورة تبدأ إرهاصات نشأة روما، فقد قام الملك غير الشرعي أموليوس الذي نفى أخاه نوميتور وجعل الابنة الوحيدة للملك المخلوع واسمها ريا سيلفيا (Rhéa Silvia) كاهنة عذراء في معبد الربة، ولا يحق لها الزواج وذلك حتى لا تنجب من يمكن أن ينافسه على العرش بعد ذلك، ولكن فوجئ عمها الملك بعد حين بأنها حامل وأنها أنجبت ولدين توأم من الإله "مارس" (Mars) إله الحرب، هذان الولدان هما ريموس (Remus) وروموليوس (Romulua)، وإزاء ذلك قام الملك بحبس الأم (ريا سيلفيا)، وأمر

بالتخلص من الطفلين، فقام أحد الخدم بوضع الرضيعين في صندوق وألقى به في نهر التبر ظنا بذلك أنه قد تخلص منهما، وأخبر الملك بنهاية أمر الرضيعين.

وتمضي الأسطورة فتحدثنا عن مآل الصغيرين اللذين كُتِبَ لهما النجاة حين رسا الصندوق الذي يضمهما على ضفاف نهر التبر وأبصرتهما ذئبة وقامت بإرضاعهما، ثم عثر عليهما أحد رعاة قطعان الملك ويدعى فاوستولوس الذي قام هو وزوجته أكالازنتيا بتربيتهما دون أن يعلم الملك بأمرهما. ولما شبا عن الطوق عَلِمَا بأصلهما الملكي، وأطاحا بالملك غير الشرعي أموليوس من على العرش، وأعادا جدهما الملك المخلوع "نوميتور" إلى ألبا لونجا. ثم قرر الأخوان ريموس وروموولوس إقامة مستوطنة في نفس المكان الذي رسا فيه الصندوق الذي ضمهما رضيعين على ضفاف التبر.

أما التاريخ المتواتر الذي أجمعت معظم المصادر الرومانية القديمة على أنه تاريخ نشأة تلك المدينة الوليدة، التي سميت روما نسبة إلى روموولوس هو عام 753 ق.م، رغم وجود روايات أخرى مختلفة قليلا. أما مكان النشأة الأصلي هو تل البلاتين كما أسلفنا. وتروي الأسطورة أن الأخوين قدما قرابين للآلهة مع بداية الإعداد لإقامة المدينة، فأوحت إشارات العِرَافَةِ عن طريق الطيور بأن الآلهة قبلت قرابين روموولوس ولم تقبل قرابين ريموس، وهو ما يوحى بتفضيل الآلهة روموولوس على ريموس ليكون ملكا على المدينة الوليدة. ولم يتقبل ريموس الأمر برحابة صدر بل أبدى ازدراءه من نتيجة العرافة من خلال القفز على بداية سور المدينة الوليدة، الأمر الذي دفع بأخيه روموولوس أو أحد رفقائه إلى قتله، وسميت المدينة روما باسم الأخ الآخر روموولوس، ويذكر أن روموولوس قد وسع من نطاق مدينته الجديدة وشجع العبيد والمحاربين وحتى المجرمين على الإقامة فيها.

ولما كان مؤسسو المدينة الجديدة كلهم من الرجال، وكانوا يبغون الحفاظ على استمرارية هذا الكيان، فقد كانوا بحاجة إلى عنصر نسائي وهو ما أوحى لروملوس ورفاقه باللجوء إلى خدعة لتحقيق هذا الغرض. نظم الرفاق من قاطني المدينة الجديدة حفلا وألعابا

احتفالا بإنشاء مدينتهم، ودعوا إليهم جيرانهم من قبائل السابين (Sabines) المجاورة مع نسائهم وأطفالهم، وأثناء الحفل قام شباب الرومان باختطاف بنات السابين واتخذوا منهم زوجات عنوة. وقد أدى هذا الموقف إلى نشوب حرب بين الرومان والسابين، وكان يقود السابين فيها تيتوس تاتيوس (Titus Tatius) الذي حاصر الكابيتول الذي كان آنذاك القاعدة الأمامية للرومان.

ويُرْوَى في هذا الصدد أن فتاة تدعى تاربيا (Tarpeia) ابنة القائد الروماني قد وعدت السابين بتسليم الحصن (قاعدة الكابيتول) لهم إن هم أعطوها ما يحملونه على أذرعهم اليسرى أي القلائد الذهبية. وحين اندفع السابين إلى القلعة كافأوها على خيانتها بأن سحقوها تحت دروعهم التي كانوا يتقلدونها كذلك على أذرعهم اليسرى. ولكن رواية أخرى تبرز تاربيا كبطلة مضحية، وأنها كانت تتصدى وتنوي الاستيلاء على دروع السابين كي تساعد الرومان، وقد ظل الرومان يسيطرون على تل البلاتين، وبعد عدة جولات من القتال ضد السابين توصل الرومان إلى صلح معهم، توسطت لإبرامه بنات السابين المختطفات اللائي صرن زوجات للرومان. ومن بعدها عاش الرومان واستقروا جنبا إلى جنب مع السابين. ونشأت بينهم قرابة ومصاهرة، وبعد ذلك اختفى رومولوس من على وجه الأرض مغلفا في غلاله من سحاب في أثناء عاصفة رعدية، وأعلن شهود تلك المعجزة ألوهيته وقدسيته على الفور.